
إنما
المؤمنون إخوة
إعداد
د. عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وكفى، وسلامٌ، على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإن من أعظم النعم وأجلها على العباد تلك الأخوة الإيمانية التي تنزلت من أجها الآيات، وقام النبي الكريم ﷺ من أجلــها بخطــب وعظات.

نعم تلك الأخوة والمحبة التي أرسى دعائهما وقوّى أركانها ديننا الحنيف الذي ارتضاه الله تعالى لنا وللناس جميعًا، وأمرنا وأمر الناس جميعًا بسلوكه واتباعه ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وما أعظم أثر القرآن في القلوب، ذلك الكتاب العظيم، الذي آخى بين العباد على اختلاف أنسابهم وأحسابهم، وامتن الله تعــالى على نبي الإسلام ﷺ وأهله بالألفة والمحبة. تلك الخصــلة الــتي إذا نظرت إليها بين المسلمين ذكرت عِظمَ وشيجة الدين، فلقد أنستنا أحسابنا وأنسابنا حتى أصبح الواحد منا لا يشعر بفارق بينه وبــين أخيه المسلم مع اختلاف الألوان، وتعاقب الأزمان، وتغير المكــان، كل ذلك لأنهم يؤمنون بالله الواحد القهار، لا فضل لعربهم علــى عجمهم، ولا لأبيضهم على أسودهم إلا بالتقوى.

أيها الإخوة الكرام:

إن الألفة والمحبة نور يضعه الله جل وعلا في قلوب المؤمنين، ولا يستطيع أحد أن يفرضها بالأموال والقوة والرجال ﴿وَأَلَّــفَ بَــيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِــنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ولعظم المحبة والأخوة بين المؤمنين وأهميتها، فقد دعا إليهـــا الله جل وعلا في كتابه المبين، ونبه إليها النبي ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجــرات: ١٠]، وقـــال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وثبت في الصحيحين أيضًا أن نبي الله ﷺ قال: «**المسلم أخـــو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**».

وفي الصحيحين أيضًا قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحـــب لأخيه ما يحب لنفسه**».

فهذه الآيات والأحاديث، كلها دلائل واضحة، وبراهين قاطعة على عِظَم الأخوة بين المؤمنين، وقوة الرابطة بين المسلمين.

ولقد أجلت نظري في حال المسلمين اليوم في أنحـــاء الأرض، وتأملت العلاقة التي يمارسها بعضهم مع إخوانهم الآخرين، فوجدت أن تلك الرابطة الإيمانية، والأخوة الإسلامية التي أرسى دعائمهـــا كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا قد بدأت اليوم – للأسف الشديد – تضعف بشكل يُنذِر بخطر كبير، وشـــر عريض، ما لم يَصْحُ المؤمنون من هذه الغفلة التي وقعوا فيها!

ولا شك أن لوجود هذه الظاهرة السيئة أسبابًا وعللاً لمن تأمل واقع المسلمين هذه الأيام، ولعلي أُبرز ما ظهر لي من هذه السباب والعلل بعد الدراسة لها في الأمور التالية:

١- التنازع والاختلاف حول أمور دنيوية:

فإن الإنسان قد يجد رجلين على صلاح ومحبة وأخوة، فتفـتح الدنيا على أحدهما، فترتقي درجته ومرتبته، فيفسد قلبه على أخيـه – عياذًا بالله -! ولربما كان أحدهم مع أخيه على أحسن ما يكون، فتقع بينهما خصومة على أرض أو دار أو نحوهما من أمور الـدنيا، فتقطع الأخوة في الله بسبب تلك الدار أو الأرض الـتي اختصـما عليها.

ولذلك كم من قلوب تفرقت، وأرحـام تقطعـت، ودمـاء سُفكت، وأرواح أُزهقت بسبب اختلاف وقع على شيء مـاديٍ حقير، حتى نُسيت بذلك الأخوة، وتبدلت بغضاء وحقدًا!!

٢- اختلاف الرأي في مسائل الخلاف التي يسع فيها الاجتهاد:

فإن كثيرًا من طلاب العلم تنافرت قلوبهم، واختلفت بسـبب اختلاف حول مسائل فرعية في هذا الدين، يُعذر فيها المخالف، ولا ينكر عليه، حتى وصل الأمر – للأسف – إلى حد الاتهام والتجريح والعِداء!!

٣- تصيد الأخطاء والعيوب والتركيز على الســلبيات وتــرك الإيجابيات:

فإن بعض الناس قد ضحك عليه الشــيطان، وأغــراه بتتبــع السقطات والأخطاء في زلات الكلم وسبق اللسان والقلم، وعثرات الأفكار دون قصد النصيحة لإخوانه، أو التألم لحصــول ذلــك في الأمة، ويترك ذكر محاسنه أو يتغافل عنها، وربما فرح بوقوفه علــى خطأ أخيه ليتخذ من ذلك ذريعة للحط من قدره والتشهير بعثرته.

وقد لا يفكر في الاعتذار لأخيه، أو تلمس المعــاذير لــه، أو التلطف في نصحه، وبيان عيبه والستر عليه؛ لأن الدافع له أصــلاً ليس الرغبة في الخير وهداية الضال، بل لغرض في نفسه بسبب اتباع الهوى وطاعة الشيطان.

٤- الحسد:

ذلك أن الشيطان قد يلقي العداوة والبغضاء في قلب المســلم على أخيه المسلم بسبب حسده له على نعمة أنعم الله بها عليه، من كثرة مال، أو صلاح ولد، أو وفرة علم ودعوة، وقبول عند الناس، فإذا ما رأى صاحبه قد علا عليه تأثر هو، ولم يحب أن يرتفع عليه، وود لو لم ينل صديقه أو جاره، أو نحوهما ممن له به معرفة ما نال، وتمنى زوال تلك النعمة عنه بأي طريقة كانت!! – عياذاً بالله –.

٥- سوء الظن:

فإنه ما اختلفت قلوب المسلمين، ولا تباعدت بشيء أعظم من سوء الظن؛ ولهذا قال ربنا سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. فإن القرآن هنا يريد أن يطهر الضمير من داخله أن يتلوث بذلك الظن السيئ الذي يهدم ولا يبني، ويفسد قلب صاحبه ولا يصلحه، ويثير الحقد والبغض في نفوس المؤمنين تجاه إخوانهم الآخرين دون أن يكون هنالك مستند سوى التهمة والأخذ بالظن!!

٦- التسرع في توبيخ المخطئ وتأنيبه:

فإن كثيرًا من الناس لا يعرف كيف يتعامل مع من يجد عليه خطأ ما، ولا يدرك فقه التعامل مع مخالفه المخطئ، فترى البعض من الناس يهاجم أخاه بسبب خطأٍ رآه عليه، ويعنفه بكلامه دون أن يسمع منه رأيه وحجته فيما ذهب إليه، ولربما وقع ذلك المتسرع في حمأة العصبية، وهو لا يشعر، - نسأل الله تعالى السلامة والعافية -.

٧- أنه قد وُجِد في مجتمعات المسلمين في هذا الزمان أقوام كتب الله تعالى عليهم الشقاء:

فراحوا يفرقون بين الأحبة، ويوغرون قلوبهم، ويوجدون الشحناء والبغضاء بينهم، قومٌ أسلموا لله في ظواهرهم، ولم تسلم لله تعالى أفئدتهم، قوم حريصون على الغيبة والنميمة ونقل الأحاديث، وترويج الشائعات، وإحداث الفرقة والخصام في صفوف المؤمنين!!

٨- إظهار التكبر، والاستعلاء على الناس:

فإن كثيرًا من الناس اليوم قد غره شيطانه بما زين له من العجب بنفسه، فأظهر التكبر، والاستعلاء على الناس بما أُعطي من جاه أو منصب أو نحوهما، فأدى ذلك على كره الناس له، فابتعدوا عنـــه، وأبغضوه!

٩- عدم إفشاء السلام:

فإن بعض المسلمين – أصلحنا الله وإياه – قد يمر بأخيه المسلم دون أن يسلم عليه، وقد يسلم ولكن بصوت ضعيف لا يُســـمع، وهذا يُحدث في قلب المسلم الآخر شيئًا من الألم والحـــزن، وقـــد يسأل نفسه: لِمَ مَرَّ عليَّ أخي و لم يُسلم؟ وقد يظن به سوءًا؛ كـــل ذلك لأن الأول أهمل هذه الميزة التي اتصفنا بها نحن المســـلمين دون غيرنا!

١٠- الاستهزاء والسخرية:

تلك الصفة القبيحة التي اتصف بها الكثير من أبناء المســـلمين اليوم، والمرء لا يستغرب أن يحصل الاســـتهزاء والســـخرية بـــين المنحرفين، لكن الغريب المؤلم أن يحدث ذلك بين طائفة من أهـــل الدين والصلاح!! فترى بعض الشباب من أهل الخير والحق يسخر من أخيه في سيارته أو كلامه، أو ملبسه، أو حتى في نعله!!

هذا هو الحاصل للأسف الشديد بين كثير من أبناء المســـلمين اليوم، الذين يُرجى منهم أن يكونوا غدًا قادة للدين، حماةً للعقيدة.

١١- كثرة المزاح:

ذلك أن كثيرًا من الناس اليوم قد جاوز الحد في مزاحه، وخرج عن القدر المعقول منه، حتى صار الفحش طبع كثير منهم اليوم، فإذا ما نوصح ونُهي عن هذا الفعل القبيح أجاب بأن ذلـــك لـــيس إلا مِزاحًا ومداعبة، وغفل عما يسببه مزاحه – الذي جاوز الحد فيه – من الألم واللوعة في قلوب إخوانه المسلمين.

١٢- إهمال الجار لجاره، وعدم اكتراثه به، وتفقده له:

وهذه الصفة مما عمت به البلوى في كـــثير مـــن مجتمعاتنـــا الإسلامية، مما – والله – يؤلم القلب، ويُفطر الفؤاد، ونـــتج عنـــه للأسف الشديد سلبيات أخرى، كضعف الإيمان الذي يـــؤدي إلى ترك الصلاة أو التكاسل فيها بسبب عدم اهتمام الجار بجاره بالزيارة والمناصحة في الله ولله.

ونحن نعوذ بالله تعالى أن يصدق فينا ما رواه الإمام الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن، بسند صحيح أقره عليه الـــذهبي، مـــن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن نبينـــا ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حـــتى يظهـــر الفحش والتفحش وسوءُ الجوار وقطيعة الأرحام**...» الحديث.

١٣- الرجوع إلى حوادث دنيوية وقع فيها خصام:

وقد عفا عليها الزمن، ونُسيت، مما يوسوس به الشيطان لـــبني الإنسان، ليوقع الفتنة والفرقة في صفوف المؤمنين، وليقطع الألفـــة والأخوة التي دعا إليها الرحمن عز وجل.

١٤- المعاصي:

وهي كثيرة، أذكر منها ما يلي:

أ- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قـــال الله تعـــالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾[١] **[الأنفال: ٢٥]**.

ب- الإقبال على الدنيا، وترك الجهاد في سبيل الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: «فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كمـــا هو الواقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في ســـبيل الله جمـــع الله قلوبهم، وألف بينهم، وجعل بأسهُم على عدوا الله وعـــدوهم، وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعًا، ويذيق بعضهم بأس بعض»[٢].

ولعل هذا القول لشيخ الإسلام يستدل له بحديث: «**إذا تبايعتم بالعينة**[٣] **وأخذتم أذناب البقر، ورضيت بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليهم ذُلاً لا يترعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٤].

(١) وانظر: تفسير الطبري (٦/٢١٧) ط. دار الكتب العلمية، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/٣١٧) وتفسير السعدي (٣/١٥٧)، وتفسير المنار (٩/٦٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٤٤).

(٣) العِينة: هي أن يبيع شيئًا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقدًا.

(٤) رواه أبو داود وغيره، وهو صحيح لمجموع طرقه، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/١٥).

جـ- عدم تسوية الصف أثناء الصلاة: فعن أبي مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**...»(١) وفي الحديث الآخر عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لتسوُن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**»(٢)، والأظهر في معنى المخالفة هنا إلقاء العداوة والبغضاء، واختلاف القلوب.

وعلى أية حال فإن المعاصي عمومًا سبب كبير في انفصام الأخوة بين المؤمنين، ففي الحديث الصحيح: «**ما تواد اثنان في الله عز وجل أو في الإسلام، فيفرق بينهما أول أذنب**»، وفي رواية: «**ففرق بينهما إلا بذنب**»(٣).



(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند، وهو صحيح.

العـــــلاج

باستعراض الأسباب المؤدية إلى اخـــتلاف القلـــوب، وعـــدم ائتلافها، يمكن أن نستنتج من خلالها الطرق التي تمكن من عـــودة الألفة والأخوة بين المؤمنين، ولعل أبرز ذلك في الأمور التالية:

١- أن يُشعر المرء نفسه بأهمية هذه الأخوة والألفة:

التي دعانا إليها الله تعالى، ونبهنا إليها نبينا ﷺ كما ذكرنا ذلك في مقدمة هذه الرسالة، وأن يذكر كل واحد منا نفسه أيضًا بما ورد من النهي عن التقاطع والهجران، كما في الحديث المتفق عليه: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال**».

وفي صحيح مسلم: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثـــنين ويـــوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء** (أي عداوة) **فيقـــال: أنظـــروا هـــذين حـــتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**»!. وفي الحـــديث المتفـــق عليه: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليـــال: يلتقـــان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».

٢- أن لا يؤدي الاختلاف في الرأي إلى التقــاطع والتبــاغض والتنافر:

لاسيما إذا كانت المسائل المختلف فيها مسائل يســع فيهــا الاجتهاد، لذا يجب أن تتسع لها الصدور، وأن يسعنا مــا وســع أصحاب رسول الله ﷺ.

وما أجمل كلام يونس الصدفي رحمه الله عندما قال: «مــا رأيــت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقــيني، فأخــذ بيدي، ثم قال: ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة»؟!

٣- الحرص على الإصلاح بين المتخاصمين:

فإن الله تعالى شهد من فوق سبع سماوات أن الصلح خيرٌ فقال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِــي كَــثِيرٍ مِــنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْــلَاحٍ بَــيْنَ النَّــاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُــونَ إِخْــوَةٌ فَأَصْــلِحُوا بَــيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة، كلَّ يوم تطلــع فيــه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة...**» الحديث.

وإن العبد المؤمن إذا كان صادقًا في إرادة الصلح، مخلصًا فيهــا فإن الله تعالى يوفقه لذلك كما قال: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّــهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

فيا أخي في الله، إذا علمت بخلاف أو خصومة بين إخوانك المسلمين، فاسعَ للصلح بينهم، واحرص على الجمع بين قلوبهم، والتأليف بين أرواحهم، ولو أدى ذلك إلى قول الكذب كما في الحديث المتفق عليه عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذابُ الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا**(١)**، أو يقول خيرًا**».

وما أعظمها من نعمة أن تكون – أخي الكريم – من أولئك الأخيار الذين حبب الله تعالى قلوبهم إلى عباده، فرفع بذلك قدرهم، وأعز به شأنهم، وأشهد الأرض على خطاهم في طاعته ومحبته (٢).

٤– الحذر من سوء الظن:

والحرص على أن لا يصبح المرء أو يُمسي، أو يقوم، أو يقعد، أو ينام وفي قلبه سوء ظن على مسلم. والله تعالى وصف المؤمنين أنهم لا يرضون السوء لإخوانهم، كما قال سبحانه في قصة حادثة الإفك: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ [النور: ١٢].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية: يقول تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذا سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، يقول: ظننتم بمن قُذِفَ بذلك منكم

(١) ينمي خيرًا أي يبلغ خبرًا فيه خير.

(٢) يحسن الرجوع إلى محاضرة للأستاذ الشنقيطي – جزاه الله خيرًا – بعنوان «تأليف القلوب».

خيرًا، و لم تظنوا به أنه أتى الفاحشة. وقال بأنفســهم؛ لأن أهــل الإسلام كلهم بمترلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة»[1].

وليسأل كل واحد منا نفسه: هل يرضى أن تساء به الظنون؟!

هل يرضى أن يُحمَل على أبشع الظنون، وأسوأ المحامل؟!

فإن كان الواحد منا لا يرضى سوء الظن لنفسه فكيف يرضاها لإخوانه في الإسلام والإيمان؟!

وعلى المؤمن إذا وسوس له الشيطان أن يسيء الظــن بأخيــه المسلم أن يستعجل في درء هذا الشر العريض بسؤاله ومناقشته عما دار في نفسه ومخيلته، لتزول العلة سريعًا، ويقطع دابر الشيطان الذي يريد بتر الأخوة، وإزالة الألفة والمحبة.

٥- أن يحرص المؤمن كلَّ الحرص – على أن ينام كل ليلة وليس في قلبه شيء على مسلم:

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم رجل من أهل الجنة**»، فاطلع سعد بــن أبي وقاص ﷺ حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلــك، قال: فطلع على ترتيبه، فلما قام رسول الله ﷺ ثار عبــد الله بــن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: إني غاضبت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تنحل يميني فعلت، قال أنس: فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا

(١) تفسير الطبري (٩/٢٨٤).

كان الفجر، فلم يقم تلك الليلة شيئًا، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر، فإذا صلى المكتوبـــة أســـبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطرًا، قال عبد الله بن عمرو: فرمقته ثلاث ليال وأيامهنَّ لا يزيد على ذلك، غير أني لا أسمعه يقول إلا خـــيرًا، فلما مضت الليالي الثلاث، وكدت أحتقر عمله، قلت: إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ قـــال: ذلك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس: «**يطلع عليكم رجل من أهـــل الجنة**» فطلعت أنت أولئك المرات الثلاث، فأردت أن آوي إليـــك حتى أنظر ما عملك، فأقتدي بك لأنال ما نلت، فلم أرك تعمـــل كثير عمل، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هـــو إلا الذي رأيت. قال: فلما رأيت ذلك انصرفت، فـــدعا بي حـــين وليت، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي ســـوءًا لأحد من المسلمين، ولا أنوي له شرًا، ولا أقوله. قال: قلت: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا أطيق(١).

٦- أن يدرك المسلم فضل التآخي والتزاور والمحبة في الله. ولله:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا عاد الرجل أخاه أو زاره في الله قال الله عز وجل: طبت وطـــاب ممشـــاك، وبُوئت مترلاً في الجنة**»(٢).

---

(١) ذكره صاحب كتر العمال برقم (٣٧١١٦) ونسبه إلى ابن عساكر، وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن أبي هريرة مرفوعًا.

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلى ظله**» فذكرهم، وذكر منهم: «**رجــلان تحابــا في الله، اجتمعا على ذلك، وتفرقا**»[1]، وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي**»[2].

٧- العفو والتسامح ودفع السيئة بالحسنة:

فإن مما يزيل التباغض والأحقاد، ويجلب الألفــة والأخــوة، الصفح عن المسيء، والتسامح مع المخطــئ، والله تعــالى يقــول: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْـأُمُورِ﴾ [الشــورى: ٤٣]، ويقول جل شأنه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة، ومثل أعلى فقد جاءه ذات يوم يهودي اسمه زيد بن سعنة يتقاضاه دينًا، فأخذ بمجــامع قميصــه وردائــه والرسول ﷺ في جنازة مع أصحابه، ونظر اليهودي إليه ﷺ بوجــه غليظ، وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي؟.. وأغلظ له في القــول، وهنا غضب عمر بن الخطاب ﷺ ونظر إلى زيد وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر مــن لومه لضربت بسيفي رأسك. ورسول الله ﷺ ينظــر إلى عمــر في سكون وتؤدة ثم قال: «**يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هــذا،**

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم وغيره.

أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمـــر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر»!![(١)].

فهذه المعاملة العظيمة حتى مع غير المســلمين بـــدفع الســيئة بالحسنة كان لها الأثر الكبير في تلك القلوب، فلقد كان من آثـــار هذه المعاملة الحسنة من الرسول ﷺ لذلك اليهودي أنه أسلم وحسن إسلامه، ولنستمع إلى زويد وهو يحدثنا عن ذلك فيقول: لما فعـــل عمر ما أمره به رسول الله ﷺ من إعطائه حقه، بل والزيادة عليـــه، يقول: فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان نقمتك. قال: قلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، مـــن أنت؟ قال: قلت: زيد بن سعنة. قال: الحبر؟ قلت: الحبر؟ قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قال: قلت له: يا عمر، لم يكن له من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلاَّ اثنين لم أخبرهما منه: هل يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًـــا، فقـــد اختبرهما! فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وأشهد أن شطر مالي – فإني أكثـــرهم مـــالاً – صدقةٌ على أمة محمد ﷺ فقال عمر ﷺ: أو على بعضهم؛ فإنك لا تسعهم. قال: قلت: أو على بعضهم، فرجع زيد (اليهـــودي) إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وآمن به، وصدقه!! فرضي الله عنه.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي.

٨- الحذر من المعاصي:

فإن الانكباب على الدنيا وشهواتها، والانشغال عن أمور الدين كالعلم والجهاد والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه كلها من أعظم أسباب تنافر القلوب، وتباغض النفوس، وتجنب المعاصي، والحذر منها، والاشتغال بأمور الدين، والتعاون عليها مما يقوي الرابطة بين المؤمنين، ويؤلف القلوب، ويحبب النفوس بعضها إلى بعض، والجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدًا.

٩- الحرص على المحافظة وإفشاء السلام:

ثبت في سنن الترمذي، وسنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان، فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا**».

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إلا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم!**».

١٠- إظهار البشر والسرور بلقاء الإخوان والأصحاب:

ففي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**».

١١- الحذر من الكبر والإعجاب بالنفس:

والاتصاف بالتواضع واللين، فإن ترك الكبر والترفع على الناس، والتواضع لهم مما يحبب النفوس بعضها إلى بعض، ويجمعها، ويؤلف بينها، قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُــؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وفي صحيح مسلم: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه**»، وكان نبينا ﷺ كما في الصحيحين إذا مر على الصبيان سلم عليهم.

١٢- الحذر من الغيبة والنميمة:

ومقاومة كل من يحاول نشرهما وإفشـــاءهما بـــين المـــؤمنين، والإنكار عليه، كما ثبت في الصحيحين عن عتبان بن مالــك ﷺ قال: قام النبي ﷺ يصلي فقال: «**أين مالك بن الدُّخْشُم؟**» فقـــال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله، فقال النبي ﷺ: «**لا تقل ذلك! ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله! وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجـــه الله**».

وحرص سلف الأمة رحمهم الله أيضًا على قطع هذه الخصـــال الخبيثة في مهدها، فهذا التابعي الجليل الحسن البصري رحمه الله يأتيه رجل فيقول له: إن فلانًا يقول فيك كذا وكذا، فيقول له الحســـن منكرًا موبخًا: «أما وَجَدَ الشيطانُ رسولاً غيرك»!!

وجاء رجل آخر لأحد السلف فقال: فلان يقول فيك: كـــذا وكذا، فرد عليه بقوله: لأغيظَنَّ من أمره بذلك، اللـــهم اغفـــر لي ولأخي!

١٣- أن يحذر العبد من الحسد والحقد:

وأن يتذكر الإثم الذي يلحقه من جراء حسده، كما قال نبينـــا ﷺ: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال: العُشْب**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**دَبَّ إليكم داء الأمم قـــبلكم الحســـد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحْلِق الشعْر، ولكـــن تحلِق الدين...**»(٢).

١٤- الحذر من الاستهزاء والسخرية:

وما يؤدي إليهما من كثرة المزاح الخارج عن القدر المعتاد، فإن تجنب هذه الأمور مما يقوي الرابطة بين المؤمنين، وإهمالها مما يـــؤلم القلوب، ويفرقها، وعلى العبد أن يدرك خطـــر احتقـــار إخوانـــه المسلمين وإنقاص قدرهم، والله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾ **[الحجرات: ١١]**.

---

(١) أخرجه أبو داود وغيره.

(٢) أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما، وقال الهيثمي والمنذري: سنده جيِّد.

وفي الحديث الصحيح عن نبينا ﷺ أنه قال: «**بحسْب أمــريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[(١)].

١٥- محاولة تصحيح الخطأ دون جرح الأحاسيس والمشاعر:

وهذا الأمر يُخص به مَنْ يتولون أمــور المســلمين بالتوجيــه والإرشاد من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين ونحوهم، فإن المرء أحيانًا يؤدي به الاندفاع والتحمس لتصحيح الخطــأ إلى جــرح مشاعر المخطئ، ويؤنبه بأسلوب فيه شدة وقسوة، مما يــؤدي إلى الكراهية والتباغض، ولربما زادت هذه الشدة والقسوة المخطئ خطأ بأن تجعله يستمر في خطئه، ويتمادى فيه، ولو بُــين لــه خطــؤه بأسلوب مهذب رصين لتقبل النقد بصدر رحْب، وسماحة بال، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة، ومثلٌ أعلى، فإن ذلك الأعرابي لَّمــا بال في مسجده ﷺ وزجره الصحابة وعنفوا عليه نهاهم النبي ﷺ عن ذلك، فتركوه حتى قضى بوله ثم دعاه رسول الله ﷺ فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هــي لذكر الله عز وجل والصلاة، وقراءة القرآن**»، وأمر رجلاً مــن القوم، فجاء بدلو من ماء، فشنَّه عليه [(٢)]، أي صبه، فانظر – رعاك الله – إلى رفقه ﷺ بأمته، وتأمل تعليمه للمخطئ من غير توبيخ ولا تعنيف!!.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

ولقد كان لسلفنا الكرام رحمهم الله في نقد الرجال، وتصحيح أخطائهم مواقف مشرفة، تُبصِّر السالكين، وتنير الطريق للصالحين، فها هو الإمام هارون بن عبد الله الجمال يقول: «جاءني أحمد بـــن حنبل بالليل فدقَّ علي الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد [(١)]، فبادرت، وخرجت إليه، فمساني ومسيته، فقلت: حاجة أبي عبـــد الله، ما حاجتك؟ قال الإمام أحمد: شغلت اليوم قلبي!!

فقلت: بماذا يا أبا عبد الله؟

قال: جزتُ عليك اليوم وأنت قاعد تحدث النـــاس في الفـــي (الظل) والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مـــرة أخرى! إذا قعدت فاقعد مع الناس»[(٢)].

الله أكبر..

انظر – رحمك الله – كيف كانت النصيحة!

إن الذي روى الحادثة ليس هو الإمام أحمد، إنما هو ذلك العالم الذي تأثر بنصيحة الإمام، وانظر إلى ذلك السلوك الطيب، والمنهج السليم في معالجة الخطأ، يزوره بالليل، ثم يبدي مشاعره وحرصـــه عليه، لاحظ قوله: شغلت قلبي! لم يقل: أسأت للناس، ولم يعنـــف عليه بالقول [(٣)]، فما أحرى العلماء والدعاة أن يسلكوا هذا المسلك الحسن، وينهجوا ذلك المنهج القويم، وينظروا إلى المخطـــئ نظـــرة

(١) انظر إلى التواضع!!

(٢) «فن التعامل مع الناس» للأستاذ عبد الله الخاطر رحمه الله ص (٣٠، ٣١).

(٣) المرجع السابق.

إشفاق ورحمة، وليشعر المخطئ بالخطأ، ويكون ذلك أدعى لقبوله النصيحة، والامتثال لها، بل ومحبة صاحبها، وذكره بالخير.

١٦- الدعاء:

فإن اللجوء إلى الله بالدعاء من أقوى الأسباب المعينـــة علـــى تأليف القلوب، ولذلك حث الله تعالى من يجيء بعد الصـــحابة ﷺ من التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة أن يستغفروا لأنفسهم ولمنْ تقدمهم من المهاجرين والأنصار، وأمرهم سبحانه أن يَدْعُوا الله – تعالى أن يترع عن قلوبهم الغل والبغض للذين آمنوا على الإطـــلاق بقوله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَـــا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فنسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يؤلف بين قلوبنا، ويصلح ذات بيننا، ويهدينا سبل السلام، إنه أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

البريد الإلكتروني: Abdulhamed99@hotmail.com